معروف الرصافي

مثلما ينبت الورد في الاذخر والزنبق بين الاشواك ، وكما تفوح رائحة الند وينتشر عبير الزهر ، هكذا نشأ الرصافي في بغداد ، وفاح عرف طيبه في العراق وانتشر ارج فضله في العالم العربي الراقي في سوريا ومصر وكل بلاد يفهم المستنيرون فيها لغة القرآن . ومثلما يتهافت النحل على الزهر لمص الاري وجني العسل ، وكما يتسابق المؤمنون للتبرك بالاولياء ، هكذا كان شعراء بيروت وكتابها وعلماؤها وبعض وجهائها وادباؤها يتهافتون على نزل قصر بحر حين ينزل الضيف الكريم نابغة العراق وشاعره الرصافي الشهير ويتسابقون الى زيارته والتعرف اليه افراداً وجموعاً

ولا غرو اذا اهتم المستنيرون بالرجل هذا الاهتمام ، وهو نفس كبيرة كريمة شعرت بالبؤس الادبي فعملت على تخفيفه وعرفت الحق الاجتماعي فجهرت به لا تخشى لومة لائم ولا ترهب استبداد ظالم ، ادركت مفاسد الاخلاق فنادت باصلاحها بملء القوى والفت من الجور فاصبته العداء وجادت بديع النظم وصفاً وتخيلاً ونصحاً مبيناً . وانتشرت قصائدها في الفنيلس والشوري المنارية وغيرهما من المجلات والجرائد العربية الا وتناقلتها الافواه ولهجت بها الالسن فذاع صيت الشاعر وعد من الطبقة الاولى بين الشعراء المعاصرين قبل ان يبلغ من عمره الثلاثين

قرأنا للشاعر ثلاثين قصيدة تنألف من نحو الف وخمسمئة بيتاً من الشعر الجيد الموافق للعصر بمواضيعه وغاياته فاعجبنا العجاب الجميم به وغبطنا اماً ولدته وارضاً انشأته لا سيما بعد ان تأكدنا ان الاسم والمسمى لشخص واحد وان البلاد لا تخلو من نوابغ كبار النفوس يجرأون على النداء بالحق ولو تعرضوا لاخطار الحرق والغرق والشنق . لاننا كنا من المسائلين عنه غير المصدقين بان اسمه اسم رجل معروف لان ما انفطرت عليه نفسه من الانفة والحرية والجرأة والاستقلال لم يكن

له مجال للظهور تحت الوية المستبدين ايام عبد الحميد الا اذا تمكن اليأس واشتد البؤس ولم يبق مناص من الاستهداف مما لم نرَه الا في النادرين من النوابغ والعظماء وما كان اكثر الطامعين في الشرف الآمنين على نفوسهم من لؤم الظالمين

وما ينبغي ان نسكت اخيراً عما جاء الرصافي بيروت وانشدنا بعض ما لم يكن لنشره بعد من شعره في الاخلاق والاجتماع فضلاً عما رأيناه به من الالمام باحوال بلاده اخلاقياً واجتماعياً وتأثيره عبرة عليها وانه تأثر من البؤس المخيم على تلك الارجاء.

زار الشاعر بيروت ثلاث مرات في ذهابه الى الاستانة من عشرة اشهر وفي رجوعه منها من اربعة وفي عوده اليها في هذا الشهر واتحف جرائدها بقصائده البديعة التي نشرنا منها في اجزاء الحسناء الغربية والامهات ومن سلانيك الى الاستانة وام البنين وسننشر له ايضاً البنيم في العبد والمطلقة وغيرهما مما تحفنا به . وكفاه بهذه القصائد دلالة على اهتمامه بشؤون المرأة اهتماماً لم يسبقه اليه من اخواننا المسلمين الا المصلح العظيم قاسم بك امين ومن نحا منحاه . وحبذا هذا الاهتمام بالجنس الحسن لتخصيصه الحسناء بهذه السطور عدا عما استحقه فضله ونبوغه

وقد عرف الناس قدر الرصافي فاحترموه واحبوه قبل ان يروه ويحادثوه . وبمناسبة مغادرته بيروت في الاسبوع الماضي دعي حضرة الوجيه الفاضل محمد افندي بيهم صحافي المدينة وكتابها الى الاحتفاء بوداع الشاعر في صرحه تجاه المنارة فكان احتفالاً لائقاً بمقام المحتفى به ومبرهناً فضل صاحب الدعوة وغيرته على العلم والادب

المرأة

نظم هذا المعنى وديع افندي الخوري قبل ان ينظمه اديب بك اسحق

انما المرأة مرآة غدت ينظر الانسان فيها فعله
ان ملتون رأى فيها الهها وسليمان رآها مثله